الانتحار

قرأت في الصحف أن رجلا من تجار المسلمين انتحر، لا لضيق يد أو شدة مرض أو بؤس حال،بل لأنه حزن على وفاة صديق له، فقتل نفسه.

إن الرجل مؤمن يعتقد ولا شك بسوء عاقبة المنتحر, فكيف هان علية وهو أخر يوم في حياته ،أن يضم إلى خسارة دنياه آخرته ،وهي العزاء الباقي عن كل ما يلاقي المؤمن في حياته من شقاء و عناء .

إن الانتحار من حيث هو مبدأ فاسد وعادة مستهجنة، رمتنا بها المدنية الغربية فيما رمتنا به من مفاسدها وآفاتها.

ولقد كنا نعجب قبل اليوم من تهالك المصرين على حب تقليد الغربيين حتى فيما يؤذيهم في مالهم أو عرضهم وصحتهم أو كنا إذا أردنا المبالغة في تمثيل هذا التهالك قلنا يوشك أن يقتل المصري نفسه بنفسه إذا علم أن ذلك عادة من العادات الغربية فقد صار قريبا ما كان بعيدا وأصبح مألوفا ما كنا نعده مثلا من الأمثال.

الانتحار منتهى ما تصل إليه النفس من الجبن و الخور وما يصل إليه العقل من الاضطراب و الهوس، و أحسب ألا يقدم الإنسان على الانتحار و في نفسه ذرة من العزم، أو في عقله لمحة من الحزم.

حب النفس غريزة وضعها الله سبحانه وتعالى في نفس الإنسان لتكون ينبوع العمل ومبعث الحركة ومطلع شمس المدنية والعمران ،والمنتحر يبغض نفسه بأشد مما يبغض الإنسان أعدى أعدائه، فهو شاد في طبيعته، غريب في خلقه، معاند لإرادة الله تعالى في حياة الكون و عمرانه ،ومن كان هذا شأنه كان بلا قلب ولا عقل .

لا عذر للمنتحر في انتحاره مهما امتلأ قلبه من الهم و نفسه من الأسى ومهما ألمت به كوارث الدهر ونزلت به ضائقات العيش ، فان ما أقدم عليه أشد مما فر منه ، وما خسره أضعاف ما كسبه . ولو كان ذا عقل لعلم أن سكرات الموت تجمع في لحظة واحدة جميع ما تفرق من آلام النفوس وشدائدها وأن قضاء ساعة واحدة فيما أعد الله لقاتل نفسه من العذاب الأليم الدائم، أشد مما يلاقيه من مصائب الحياة وأرزائها لو يعمر ألف سنة .

ما أكثر هموم الدنيا وما أطول أحزانها ، لا يفيق المرء فيها من الهم إلا إلى هم ،ولا يرتاح من فاجعة إلا إلى مثلها، ولا يزال بنوها يترجحون ما بين صحة ومرض وفقر وغنى و عز وذل و سعادة وشقاء ،فإذا صح لكل مهموم أن يكره حياته وكل محزون أن يقتل نفسه ؟ خلت الدنيا من أهلها واستحال المقام فيها، بل استحال الوفود إليها وتبدلت سنة الله في خلقه. ولن تجد لسنة تبديلا .

ما سمي القاتل مجرما إلا لأنه قاسي القلب متحجر الفؤاد ، وأقسى منه قاتل نفسه , لأنه ليس بينه وبينها من الضغينة والموجدة ما بين القاتل والمقتول فهو أجرم المجرمين و أفظع القاتلين .

يخدع المنتحر إن ظن انه مقتنع بفضل الموت على الحياة، وانه يفعل فعلته عن رؤية وبصيرة، فانه لا يكاد يضع قدمه في المأزق الأول من مآزق الموت حتى يثوب إليه رشده وهداه ويحاول التخلص مما وقع فيه لو وجد إلى ذلك سبيلا.

إن ألقى نفسه في الماء تخبط ومد يده إلى من يرجو الخلاص على يديه وود لو يفتدي نفسه بكل ما تملك يمينه ، و ان أغلق على نفسه نوافذ غرفة مملوءة بغاز الفحم ود لو سقط عليه سقف الغرفة ليستنشق نسمات الهواء ولو عاش بعد ذلك كسير اليد و الرجل فاقد السمع و البصر .

إن فكرة الانتحار نزعة من نزعات النفس و خطرة من خطرات الشيطان ،فمن حدثته نفسه بقتل نفسه فليتمهل ريثما يتبين كيف يكون صبره على احتمال سكرات الموت وآلام النزع ، وكيف يكون حديث الناس عنه بعد موته وهل يمكن أن يوجد بينهم عاذر له أو ساكت عن ازدرائه واحتقاره ورميه بالعته والجنون ، وليستحضر في مخيلته أشكال العذاب و ألوان العقاب التي أعدها الله في الدار الآخرة لأمثاله ثم لينظر أيرتكب جريمة الانتحار ؟ لا أظنه بعد ذلك فاعلا إلا إذا كان وحشا في ثوب إنسان ، أو بطلا من إبطال البيمارستان.

هذه إحدى مختارات ما كتبه الكاتب "مصطفى لطفي المنفلوطي " -- المولود شهر جوان 1876 م والمتوفى في 12 جويلية عام 1924م -- من رسائل في جريدة المؤيد ، والتي جمعت في مؤلف *" النظرات "*

Futur001